

# موليير مصر اتخذ من الصحف خشبات لمسرحياته المصورة الساخرة

## اللعبات التياترية والحواريات ليعقوب صنوع تفضح سرقات الخديوي إسماعيل وتعذيبه للفلاحين



المسرحيات المصورة مدعومة بتعليقات بالعامية المصرية



الصورة تمتلك حسا دراميا مشهديا

وبدأت الدراسة بالتنوع بالثقافات اللغوية المصرية الخاصة بالنساء ودرست سمات لغات ولهجات الشخصيات كالأغاني والحكم ودرست التنوع اللغوية الخاصة بالمرأة المصرية المنتهية إلى الطبقة الشعبية والطبقة الوسطى وقد استخرجت المؤلفات التعبيرية الاصطلاحية من لعبات أبونظارة التياترية وحوارياته. وعنوانت عانوس الفصل الثاني بـ"المعرفة المشتركة الشعبية بين المتكلم والمخاطب" حيث وقفت على الأبنية النصية في التداولية/ عناصر أو وسيلة أو حلقات في سلاسل التواصل والتوصيل، إذ لن يتم التوصيل إلا بتحليل المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب سواء كانت معرفة شعبية أو تاريخية أو عربية.

**مجلة «أبو نظارة» قدمت عدة مسرحيات صحافية قصيرة مصورة وحواريات درامية مختلفة متماهية مع صحيفة «بنش»**

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان "التعبيرات الاصطلاحية المتداولة في اللغات التياترية والحواريات" وهي تلك الكلمات الاصطلاحية الثابتة باعتبار أن هناك أفرا واضحا لصحيفة "بنش" الشهيرة في ذلك الوقت على مجلة "أبو نظارة".

مسرحية صحافية قصيرة مصورة وعدد من الحواريات المختلفة تماما وقد سجلتها في حواريات مجلة "أبو نظارة".

### مسرحيات صحافية

تلقت الباحثة إلى عثورها على مسرحية تحت عنوان "الفرج ورد الفعل" Relief and Reaction منشورة في "بنش" بتاريخ الخامس من يناير 1879 ويدير موضوعها حول ديون مصر في الخديوي إسماعيل واثنين من وزراءه. ويعتبر هنري مايهو هذه المسرحية تراجيديا مصرية من فصلين، إذ يراها تراجيديا لأنها تنتهي بمأساة الخديوي الذي يهرب من الديون ويترك الشجرة المسكينة مصر تتساقط أوراقها وخلفه منازل الفلاح الفقير وفي يده الأموال التي جمعها ليهرب بها، والصراع هنا بين الخديوي والفلاح، بينما يرى المتلقي المصري في هذه الصورة سخريته من منظر الخديوي إسماعيل الضخم البنية وهو يجري هاربا فيضحك، وعندما يذكر أنه يهرب بأمواله بيكي، فالمصري يضحك ضحكة مزوجة بالمرارة والحزن أو العكس، فهو يزيل الفوارق بين الكوميديا والتراجيديا، وقد انتبه النقاد الفرنسيون إلى ضرورة عدم وجود فوارق حاسمة بينهما؛ فلا نجد تراجيديا دون عنصر كوميدي إذ نجد شخصية البهلوان في ماسي شكسبير، لذلك أطلقوا على النوعين مصطلح "دراما".

وتضيف عانوس بالمقارنة أيضا نجد أن "بنش" تطلق على الخديوي اسمه الحقيقي "الخديوي" ويتجاوز وكأنه يقرر حقائق أو يقرأ الأخبار، بينما تطلق مجلة "أبو نظارة" على شخصيات أسماء رمزية فنجد لقب "شيخ الحارة" على الخديوي إسماعيل، ومعنى شيخ الحارة السوار في ظاهر الكلام هو كبير الحارة المسؤول عنها، إذ يعرف كل ما فيها ومن فيها ويتميز بمكانة اجتماعية بين الأهالي، وتحول هذا المعنى إلى معنى مغاير اصطلاح عليه الجماعة، وأصبح شيخ الحارة تعبيرا اصطلاحيا يشير إلى الخديوي إسماعيل. ويتخذ اسم شيخ الحارة قابلية تاويلية لتوليد ملامح مسكوت عنه، فكان مبدأ المسكوت عنه هو مفتاح التداولية، ويأتي بصفات أو بصورة هذا المسكوت عنه فيعرفه المتلقي".

وتقارن عانوس بين شخصية الملكة فيكتوريا في حوارية منشورة في "بنش" يوم التاسع والعشرين من مارس 1878 تحت عنوان "إلى ماذا يشير الاسم؟ جنون الإله (بان) المرعب في الشكوى الإنجليزية"، وصورتها في حوارية بين شخصية أبونظارة وأبوخليل المنشورة في مجلة "أبو نظارة" - مصر للمصريين - السنة التاسعة - عدد فبراير 1880. وتقول "يدور الحوار في حوارية بنش بين الملكة وجون بول ابنها وبين ضمير المتكلم المستتر والمتصل أيضا، فهو ينفصل ويسأل "يمكن أن نسأل سؤالا ما هو الاسم؟" ويبدأ في الإجابة لينجز فعلا إخباريا فيقول "إن الاسم يرتبط بذاكرة الإنسان مع الآخر، فتستعمل إلى أسماء تحترمها

يعتبر يعقوب صنوع رائدا مسرحيا هاما في مصر، واستمر يكتب مسرحياته إلى سنة 1910 إذ كتب بعد 1872 "موليير مصر" و"ما يقاسيه الزوج الخائن" لخشبات المسرح ولكنه أيضا قدم عددا من المسرحيات في شكل لعبات تياترية، وكتب العشرات من اللعب التياترية المنشورة في عدة مجلات، وهي عبارة عن دراما صحافية أو مسرحيات صحافية مصورة يرسم فيها رؤيته الإخراجية رسما دقيقا يجعل المتلقي يشاهد العرض بالصور وإن لم يشاهده على خشبة المسرح.

أخرج الرسام وصنوع هذه المشاهد المصورة".

وتوضح عانوس "رجعت إلى قراءة مجلة "أبو نظارة" زرقا" قراءة ثنائية، فوجدت رسما من بين الرسوم يستنطق حوارية في "أبو نظارة زرقا" العدد السادس السنة الثالثة يوم الجمعة عشرين أبريل 1879 مكتوبا عليه بخط جانبي صغير هذا الرسم منقول عن جرنال Punch المطبوعة في مطبعة Paguenea في باريس، وتوضح هروب الخديوي إسماعيل أو شيخ الحارة بالمال المسروق من المصريين راكبا حماره الصغير وهو الفلاح المصري المحمل بالديون، ويحاول الدائنون الأجانب جذب الحمار، ولكنهم يفشلون إذ يعدهم شيخ الحارة عنه، ويقول لهم إنه فقط الذي يستطيع أن يقود هذا الحمار".

وتتابع "وجدت أن صحيفة "بنش" لم تهتم باخبار مصر إلا في عهد الخديوي إسماعيل أي منذ 1893، وفي عهد الخديوي توفيق قدمت حواريات ومسرحيات قصيرة توضح سلبيات حكمها، وذلك تضامنا مع السياسة الإنجليزية التي أرادت التخلص من السيطرة العثمانية في مصر حتى تنفرد باحتلالها. وهنا عذرت على الصورة الموجودة في صحيفة "بنش" والمنقولة إلى مجلة "أبو نظارة" في العدد التاسع عشر من أبريل 1879 ومكتوب على الخبيصة كلمة إفلاس أو عجز عن وفاء الديون Insolvency. وقد جاءت الصورة لتفسير قصيدة بعنوان "الفلاح المسكين" وتصور الخديوي إسماعيل يقود الحمار المصري ويسوقه، ويقول له هذا هو العليق أيها الحمار، أخفض عنقك حتى أركبك وإلا سأستخدم العصا".

وتصور القصيدة تعذيب الخديوي إسماعيل للفلاح المصري حتى يجمع منه الضرائب المتنوعة لسداد الديون بعد أن أصبحت مصر مفلسة، وبمقارنة هذه الصورة بالصورة في "أبو نظارة" نجدتها تخلص من الألفاظ المحظورة مما يؤكد تدخل أبونظارة في الصورة الأولى.

وتشير عانوس إلى أن هذا الأمر يؤكد أن رسام صحيفة "بنش" هو نفسه رسام مجلة "أبو نظارة"، إذ كان أبونظارة يكتب اللعبات التياترية والحواريات ويصور للرسام الإخراج ويبدخل بعد الرسم في الصورة بكلمات توضيحية بالعامية المصرية. ويقول أبوخليل في حوارية بينه وبين أبونظارة في العدد الأول من السنة الثالثة، الجمعة الواحد والعشرون من مارس 1879، "كتبت في نمره 30 أنها آخر نمره من رحلتك، أنا عارف ياخي رايح نقولي إيه، إن الطبع العربي غالي قوي قوي في باريز والرسم طماع، وبدأ يأخذ منك الشيء الغالي والبوسطه وما أشبه".

ويأتي العدد الخامس عشر في نوفمبر 1879 من صحيفة "بنش" بصورة تشبه الأولى وتصور الخديوي إسماعيل مذعورا من الدائنين الذين يطالبونه في حوار قصيرة بترك الحمار مصر، ولكنه يحاول الفرار ممسكا بالعصا قائلا "هذه الفريكات وتوفيق ابني كلهم في سلة "سؤال" ورائي انظروا إلى حماري واتبعوني لكي تاخذوا الأموال". وتضيف عانوس "إن هذا بدأت في المقارنة بين لعبات صنوع وحوارياته ومسرحيات "بنش" القصيرة وحوارياته وقد عذرت على



محمد الحماصي  
كاتب مصري

كانت انطلاقا الباحثة المصرية نجوى عانوس الأكاديمية في العام 1977 بدراسة حول مسرح يعقوب صنوع، ومنذ ذلك الوقت واصلت تتبعها بحثا وتحليلا للإنتاجات الإبداعية للرسام المسرحي الذي يعد أحد رواد المسرح المصري والصحافة المصرية الساخرة وموليير مصر كما أطلق عليه الخديوي إسماعيل، وكتابتها الصادر أخيرا عن دار المعارف بعنوان "لعبات يعقوب صنوع التياترية وحوارياته.. دراسة تداولية" تأملت فيه النص المكتوب وعلاقته بالصورة لإنتاج الدلالة الفنية والدرامية. بداية تؤكد عانوس أن فكرة كتابة

لعبات وحواريات صحافية مصورة في مجلة "أبو نظارة" لم تنشأ من فراغ، بل سبقتها وعاصرتها صحيفة "بنش" الإنجليزية فثارت بها، بل وأثرت أيضا مجلة "أبو نظارة" في "بنش" وفي غيرها من الصحف، مثل جرائد "باريس" و"لوسوانس" و"لوسوانس"، وفي الصحف الألمانية والأمريكية التي كانت تنقل وترجم عنها.



يعقوب صنوع كان يكتب لمجلة «أبو نظارة» اللعبات التياترية والحواريات ويصور للرسام الإخراج ويبدخل بعد الرسم بكلمات توضيحية

وتذكر أن رسام صحيفة "بنش" هو نفسه رسام مجلة "أبو نظارة"، حيث كان صنوع أو أبونظارة يكتب اللعبة التياترية أو الحوارية ثم يشرح للرسام المشهد الإخراجي ويأمره برسم الصورة التي يراها مفسرة للعبة، إذ كان حريصا على تصور العرض في خشبة المسرح، فيقول مثلا في إحدى الحواريات "هذا مسرح تتخفن فيه الروايات"، ويبدخل غالبا بكتابة تعليقات بالعامية المصرية.

### لعبة تياترية

تقول عانوس "حاولت منذ دراستي الأولى لمسرح يعقوب صنوع، المنشورة في الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984، أن أجيب عن عدة أسئلة وهي: ما موقع مجلة "أبو نظارة" في خارطة الصحف الأوروبية المعاصرة؟ وهل نشأت فكرة كتابة لعبات صحافية تياترية وحواريات من فراغ؟ وما هي علاقة الناثر والتأثير بين المجلة والصحف الأوروبية؟ ومن الذي رسم الصور الكاريكاتيرية المفسرة للعبات والتي تستنطق الكلمات؟ وكيف

كتاب لعبات يعقوب صنوع التياترية وحوارياته.. دراسة تداولية يبحث في النص المكتوب وعلاقته بالصورة لإنتاج الدلالة الفنية والدرامية

